

التحليل البلاغي بين الإرث الحضاري والذكاء الاصطناعي

م.د. إياد عبدالله علي

كلية الآداب الجامعة المستنصرية

Rhetorical analysis between cultural heritage and artificial intelligence

Dr. Ayad Abdullah Ali

College of Arts / Department of Arabic Language / Al-Mustansiriyah
University

الملخص

يهدف البحث إلى إجراء مقارنة علمية لبيان الفروق المنهجية والمعرفية بين التحليل البلاغي في التراث العربي والتحليل القائم على تقنيات الذكاء الاصطناعي، والكشف عن إمكانات التكامل بينهما في مقارنة النصوص. اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي المقارن، من خلال استقراء مرتكزات الدرس البلاغي العربي، إذ شهد الدرس البلاغي العربي عبر تأريخه الطويل استقراراً منهجياً واضح المعالم، تمثل في التركيز على تحليل بنية النص، والكشف عن أسرار نظمه، وبيان علاقات اللفظ بالمعنى في ضوء مقتضى الحال. وقد أسهم هذا التصور في بناء منظومة نقدية رصينة مكنت البلاغيين من تقويم الخطاب، والكشف عن وجوه تأثيره وجماله، ولا سيما في النصوص الدينية والأدبية الكبرى. غير أن هذا الاستقرار المنهجي على أهميته، ظل مرتبطاً بمركزية النص بوصفه كياناً لغوياً مغلقاً، تُدرس بلاغته من داخله أكثر مما تُدرس فاعليته في سياق التلقي والتأثير، ومع التطورات المتسارعة في مجالات الذكاء الاصطناعي ومعالجة اللغة الطبيعية، برز نمط جديد من التحليل اللغوي والخطابي، لا ينطلق من النص وحده، بل من تفاعله مع المتلقي والسياق والوظيفة التواصلية. وأصبح النص يُعالج بوصفه خطاباً دينامياً، تُدرس فيه آليات بناء المعنى، واستراتيجيات الإقناع، وأنماط التأثير في الوعي الفردي والجماعي، اعتماداً على نماذج ذكية قادرة على رصد الأنماط الدلالية والخطابية في كميات واسعة من البيانات النصية. وانطلاقاً من هذا التحول، يسعى البحث إلى دراسة الفرق بين التحليل البلاغي في التراث العربي والتحليل البلاغي الذي يقدمه الذكاء الاصطناعي للنص نفسه، بوصف هذا الفرق انتقالاً معرفياً من بلاغة النص إلى بلاغة الخطاب. وكذلك يهدف إلى بيان أن توظيف الذكاء الاصطناعي في تحليل النصوص البلاغية لا يمثل قطيعة مع التراث، بل يفتح أفقاً جديداً لإعادة قراءة هذا التراث وتفعيله في سياق معرفي معاصر، بما يتيح إسهاماً أصيلاً في تجديد الدرس البلاغي العربي، وفي ضوء ما تقدم ينقسم البحث على مبحثين، تضمن المبحث الأول: التحليل البلاغي في سياقه الحضاري والمعرفي، أما المبحث الثاني فقد تناول: الذكاء الاصطناعي، وضمّ المبحث الثالث: المقارنة المنهجية والتطبيقية بين التحليل البلاغي التراثي والتحليل البلاغي التقني (Chat GPT نموذجاً).

Abstract

Throughout its long history, Arabic rhetoric has witnessed a clearly defined methodological stability, characterized by a focus on analyzing textual structure, uncovering the secrets of its composition, and elucidating the relationship between word and meaning in light of contextual requirements. This approach contributed to the development of a robust critical system that enabled rhetoricians to evaluate discourse and reveal its impact and aesthetic qualities, particularly in major religious and literary texts. However, this methodological stability, despite its importance, remained tied to the centrality of the text as a closed linguistic entity, whose rhetoric was studied primarily from within, rather than its effectiveness within the context of reception and influence. With the rapid advancements in artificial intelligence and natural language processing, a new paradigm of linguistic and rhetorical analysis has emerged. This paradigm does not start from the text alone, but rather from its interaction with the recipient, the context, and the communicative function. The text is now analyzed as a dynamic discourse, examining the mechanisms of meaning construction, persuasion strategies, and patterns of influence on individual and collective consciousness, relying on intelligent models

capable of detecting semantic and rhetorical patterns in vast amounts of textual data. Based on this shift, this research seeks to examine the difference between rhetorical analysis in the Arab tradition and the rhetorical analysis offered by artificial intelligence to the same text, considering this difference as a cognitive transition from the rhetoric of the text to the rhetoric of discourse. It also aims to demonstrate that employing artificial intelligence in the analysis of rhetorical texts does not represent a break with tradition, but rather opens a new horizon for reinterpreting and revitalizing this tradition within a contemporary epistemological context, thus enabling an authentic contribution to the renewal of Arabic rhetorical studies.

المبحث الأول التحليل البلاغي في سياق الحضاري والمعرفي

تعدُّ البلاغة في جوهرها استجابة لغوية لمتغيرات الواقع، إذ لا يمكن دراستها خارج إطارها الحضاري، فهي وليدة الحضارة والمعبرة عنها. فقبل نزول القرآن الكريم في المرحلة الجاهلية كان التحليل البلاغي يقوم على (وحدة الانطباع)، إذ كانت الصورة البيانية مرآة مباشرة للبيئة الحسية (الطلل، والثاقفة، والصحراء). وكذلك في العصر الإسلامي الأول كانت الملحوظات البلاغية كلها خاضعة للذوق مع اهتمام لبعض القواعد التي من شأنها أن يُعَلَّل بها جودة القول أو ركاكته، ومع اتساع الفتوحات الإسلامية، الذي تأسس عليه اختلاط العرب بغيرهم، والانتقال إلى عصر التدوين وبناء الحواضر كالبصرة والكوفة، تحوّل السياق الحضاري من الارتجال إلى التأمل، إذ ضعف الاعتماد على الذوق وحده، هذا الانتقال فرض على البلاغيين ابتكار أدوات تحليلية قادته إلى تفسير التعقيد في النص الجديد، فلم تعد الاستعارة مجرد مقارنة بين شيئين، بل أصبحت أداة لبناء عالم متخيّل يعكس ترف الحضارة واتساع مدارك العقل العربي. (الرباعي، ١٩٩٢، ص ٤٥-٥٢) إذ أدى احتكاك الثقافة العربية الإسلامية بالمعارف الوافدة، ولاسيما منذ القرن الثاني الهجري، إلى تحوّل نوعي في طرائق التفكير والتحليل، تمثل في انتقال عدد من العلوم من الطابع الشفاهي والذوقي إلى محاولة التعقيد والتتظير. ولم تكن البلاغة بمنأى عن هذا التحوّل، إذ أسهمت حركة الترجمة في إدخال مفاهيم عقلية جديدة أعادت تنظيم النظر في الخطاب، ودفعت الدرس البلاغي إلى البحث عن أسس معرفية تبرّر أحكامه وتضبط آلياته التحليلية. (العمري، ١٩٩٩، ص ٤٥-٤٨) و(صمود، ١٩٨١، ص ١٢٣) وقد مثل دخول المنطق الأرسطي ونظريات الخطابة اليونانية منعطفاً حاسماً في هذا المسار، إذ لم يُستقبل المنطق بوصفه علماً مستقلاً فحسب، بل عُدَّ أداة تفسيرية يمكن الإفادة منها في تحليل الخطاب وبنيتها الحجاجية. ونتيجة لذلك بدأ التحليل البلاغي يتوسّل بمفاهيم مثل: (الحدّ، والقياس، والبرهان) في محاولة لإضفاء صيغة عقلية على الظواهر البيانية، بما يعكس سعي البلاغيين إلى مواءمة البلاغة مع النسق المعرفي العام السائد آنذاك. (مذكور، ١٩٨٣، ص ٩٧-١٠٢) ويبرز هذا التوجّه بوضوح في نتاج الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، الذي لم ينظر إلى البيان بوصفه فعلاً لغوياً فطرياً محصناً، بل عدّ نشاطاً عقلياً يقوم على حسن الاختيار وإدراك المقام ومراعاة المتلقّي، فالجاحظ وإن لم يقنّن البلاغة في صورة قواعد منطقية صارمة، إلا أنه مهّد لإدخال البعد العقلي في تفسير الفصاحة والبلاغة، ممّا يجعل مشروعه حلقة انتقالية بين الذوق البياني والتعليل العقلي (الجاحظ، ١٩٦٨، ج ١، ص ٧٠) ويتعمّق هذا المسار مع قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ) الذي يُعدّ من أوائل الذين سعوا إلى عقلنة نقد الشعر عبر تحديد مفاهيم دقيقة وتقسيمات أقرب إلى البناء المنهجي، فقد حاول إخضاع النصّ الشعري لمقاييس عامة تستتبط بالعقل، متأثراً بالتصوّر المنطقي في التصنيف والتّقييم. وعلى الرغم من أنّ هذا الاتجاه عدّ لاحقاً اختزالاً للجمالية الشعرية، فإنّه يكشف عن مرحلة تاريخية كانت البلاغة فيها تسعى إلى تثبيت موقعها ضمن العلوم البرهانية (قدامة، ١٩٧٨، ص ٣٩). وقد ظلّ التوتر قائماً بين متطلبات العقل البرهاني وحساسية الذوق البياني وهو توتر أسهم في إثراء النقاش البلاغي، أدخل البلاغة في مرحلة تفاوض معرفي بين البيان والمنطق، انتهت إلى بلورة وعي نقدي أكثر نضجاً عند عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ)، الذي أعاد تأسيس البلاغة وفق مفهوم النّظم، جامعاً بين التحليل العقلي والذوق اللغوي، من غير خضوع كامل لهيمنة المنطق الصوري، ويمثّل هنا التحوّل ذروة التفاعل الإيجابي بين العقل واللغة في التراث البلاغي العربي. (عبد المطلب، ٢٠٠٧، ص ١١٦)، وقد أخذت الدراسات البيانية في اتجاهين متقابلين:

الاتجاه الأول: وهو الاتجاه الخاص ببحوث إعجاز القرآن الكريم، ومن أبرز الذين نهجوا هذا النهج؛ الرّماني (ت ٢٨٤ هـ) في رسالته: ((النكت في إعجاز القرآن))، وقسم فيه البلاغة على أقسام عشرة، هي: (الإيجاز، والتشبيه، والاستعارة، والتلاؤم، والفواصل، والتجانس، والتصرّيف، والتّضمن، والمبالغة، وحسن البيان)، وكذلك الخطابي (ت ٣٨٨ هـ) في رسالته ((البيان في إعجاز القرآن)) الذي تحدّث فيه عن أقسام البلاغة، واختيار الألفاظ، والنّظم والمعارضات الشعرية. ثم جاء أبو بكر الباقلائي (ت ٤٠٢ هـ) بكتابه (إعجاز القرآن) الذي سعى فيه إلى إثبات إعجاز القرآن الكريم والردّ على شبهات المعارضين مع بيان إنّ الإعجاز كامن في نظمه وبلاغته ومعانيه.

الاتجاه الثاني: وكان عن البيان عامة، ولم يقتصر على البحث في الإعجاز، ومثّل هذا الاتجاه؛ أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) في كتابه (الصناعتين)، والجرجاني (ت ٤٧١ هـ) في كتابه ((الموازنة بين الطائفتين؛ أبو تمام والبحتري))، وابن طباطبا (ت ٣٢٢ هـ) في كتابه (الشعر

(، وابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦ هـ) في كتابه (سرّ الفصاحة)، وابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ) في كتابه (المثل السائر) واستطاع عبد القاهر الجرجاني أن يضع نظرية متكاملة للبيان للبلاغة العربية عبر كتابيه ((دلائل الإعجاز))، و((أسرار البلاغة))، فتحدّث في (الدلائل) عن النظم الذي كان أساساً فيما بعد لعلم المعاني، وتحدّث في (الأسرار) عن موضوعات؛ كالتشبيه، والاستعارة، والمجاز، وهو ما عرف فيما بعد بعلم البيان، وقد طبّق الرّمخشري (ت ٥٣٨ هـ) نظريته تطبيقاً عملياً في كتابه ((تفسير الكشّاف)) ولعله أول من أشار إلى التفريق بين علمي المعاني والبيان، غير أنّ السكاكي (ت ٦٢٦ هـ) في كتابه ((مفتاح العلوم)) أول من فصل موضوعات كلّ من علم المعاني والبيان على حدة. (عباس، ٢٠٠٩، ص ٧٥-٧٧) مع القرن الثامن الهجري أخذت علوم البلاغة تتجه نحو الاستقرار المنهجي، فترسّخ التقسيم الثلاثي إلى علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع، لا بوصفه فصلاً معرفياً تاماً، بل تنظيمياً تعليمياً يراعي طبيعة الوظائف البلاغية. وقد أسهم هذا الاستقرار في تقنين المصطلحات وتحديد مجالات البحث في جعل البلاغة علماً قائماً بذاته بعد أن كان معرفة متداخلة مع النحو، والتفسير، والنقد (عتيق، ١٩٧٢، ص ٣٥) وفي العصور المتأخّرة شهدت البلاغة انتقالاً من الإبداع النظري إلى الشرح والتفصيل، إذ انصرف العلماء إلى شرح المتون البلاغية وتعميق مباحثها، لاسيما شروح مفاتيح العلوم وتلخيصاته. وقد حافظ هذا الاتجاه على استمرارية العلم، لكنّه - في الوقت نفسه - حدّ من التجديد، إذ غلب الطابع التعليمي والمنطقي على الذوق البلاغي والتحليل الجمالي. (عباس، ١٩٨٣، ص ٢٤) سعى رواد النهضة في عصر النهضة إلى استعادة الوظيفة الجمالية للبلاغة، وجعلها أداة لتحليل النص الأدبي لا مجرد علم تقني، مع الاستفادة من المناهج الغربية، دون القطيعة مع الأصول التراثية. (مندور، ١٩٩٦، ص ٦٧) أما البلاغة العربية في الدراسات المعاصرة، فقد اتّجهت إلى توسيع أفق البلاغة، فربطتها بعلوم اللغة الحديثة، وتحليل الخطاب، والأسلوبية، والتداولية، مع إعادة قراءة التراث قراءة وظيفية ولم يعد الاهتمام منصباً على التصنيف بقدر ما انصرف على فاعلية البلاغة في إنتاج المعنى وتأثير الخطاب في المتلقي، مما أعاد للبلاغة دورها المعرفي والجمالي في آن واحد. (المسدي، ١٩٩٧، ص ١٦٢) لقد مرّت البلاغة العربية بمسار تراكمي انتقلت فيه من الوحدة المعرفية إلى التنظيم العلمي، ثم إلى الشرح والتفصيل، قبل أن تشهد في العصر الحديث إعادة توظيف ضمن أطر نقدية ولسانية أوسع. وهو ما يؤكّد حيويّتها وقابليّتها على المواكبة والتكيف مع التحوّلات المعرفية، مع احتفاظها بوظيفتها المركزية في فهم الخطاب وتحليل جماليّاته، لقد ارتبط التحليل البلاغي منذ بداياته بالوظائف الثقافية الكبرى للمجتمع العربي الإسلامي، وفي مقدّمتها حفظ النص القرآني وتفسيره، والدفاع عن إعجازه، وتقويم الخطاب الأدبي. وقد أسهم هذا الارتباط في توجيه التحليل البلاغي نحو خدمة المعنى والقصد، فجاء متداخلاً مع علوم اللغة، والشّرع، والفكر بما يعكس وحدة المعرفة في التّصوّر الحضاري الإسلامي.

البعد المعرفي للتحليل البلاغي :

يستند التحليل البلاغي في جوهره إلى رؤية معرفية تجعل اللغة أداة لإنتاج المعنى لا وعاء محايداً له، وهذا ما يفسّر تركيز البلاغيين على العلاقات التركيبية والدلالية، وربطها بمقاصد المتكلم وأحوال المخاطب. وقد أدى هذا الوعي إلى بناء تحليل يتجاوز الوصف الشكلي إلى الكشف عن آليات التأثير والإقناع، ممّا يمنح البلاغة بعداً معرفياً يتصل بالفهم والتأويل. (أبو زيد، ١٩٩٠، ص ٤٧) لقد أسهم التحليل البلاغي في تحقيق نوع من التّكامل المعرفي بين علوم اللغة والنقد والتفسير، إذ لم يكن هدفه عزل الظواهر البلاغية، بل فهمها ضمن شبكة من العلاقات السياقية والمعنوية. وقد أتاح هذا التّكامل للبلاغة أن تؤدّي وظيفة تفسيرية وتأويلية، جعلتها قادرة على استيعاب النصوص وبوصفها ظواهر لغوية وثقافية في آن واحد. (فضل، 1992، ص ٥٣) يتّضح ممّا سبق أنّ التحليل البلاغي يمثّل ممارسة معرفية متجدّرة في السياق العربي الإسلامي، تطوّرت بتطوّر حاجاته الثقافية والمعرفية، وانتقلت من خدمة النصّ الديني إلى تحليل الخطاب الإنسانيّ عموماً. ويؤكّد هذا المسار أنّ البلاغة ليست عملاً شكلياً، بل نسقاً معرفياً فاعلاً في فهم اللغة وتأويلها عبر العصور.

سياقات التحليل البلاغي :

أولاً : السياق اللغوي (النصي)

ينبني التحليل البلاغي على دراسة العلاقات الداخلية للنص من حيث؛ اختيار الألفاظ، وبناء التراكيب، وأنماط العدول، والانسجام الدلالي بين أجزاء الخطاب فالبلاغة بوصفها نظاماً لغويّ ينتج المعنى عبر التآلف بين اللفظ والمعنى، لا عبر الزخرفة الشكلية فقط. وفي هذا يقول الجرجاني " البلاغة لا تُنال بظواهر الألفاظ، بل هي ميزة تقع في نظام الكلام وتأليفه؛ فليست المزينة أن تتطّق بلفظة شريفة في نفسها بل أن تضعها في موضعها الذي يقتضيه علم النحو ... فالنظم ليس مجرد ضمّ الكلمات بعضها إلى بعض في النطق، بل هو تعليق الكلم ببعض حتى تصبح

كالبناء الواحد؛ إذ ليس النظم إلا توخي معاني النحو في معاني الكلم " (الجرجاني، ١٩٩٢، ص ٨١-٨٢). ويُعدّ هذا السِّياق الأساس الذي تنطلق منه السِّياقات الأخرى، لأنه يُعنى بأسلوبية النص بوصفه حاملاً للدلالة الجمالية والإقناعية.

ثانياً : السِّياق التّداولي (المقامي)

يُركز هذا السِّياق على العلاقة بين الخطاب ومقامه، أي المتكلم والمخاطب، وغرض الكلام، والظروف المحيطة بعملية التّواصل، إذ يُبرز التّحليل البلاغيّ هنا وظيفة الأساليب الإنشائية والخبرية في ضوء المقاصد، مثل الإقناع، أو التّأثير، أو الاستمالة، ممّا يجعل البلاغة فعلاً تواصلياً مرتبطاً بالاستعمال لا بالبنية وحدها، ويبيّن السكاكي (ت ١٦٢٦هـ) أنّ مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التّشكر يباين مقام الشّكاية، ومقام التّهيئة يباين مقام التّعزية، ومقام المدح يباين مقام الذم، ومقام التّريغيب يباين مقام التّرهيب ... ولكلّ من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر.

(السكاكي، ١٩٨٧، ص ١٦٨)

ثالثاً : السِّياق الثّقافي والحضاريّ

يتأثّر التّحليل البلاغيّ وفق هذا السِّياق بالقيم السائدة، وأنماط التّفكير، وصورة الإنسان والعالم في زمن إنتاجه. فالتّحليل البلاغيّ للنص الأدبيّ هنا لا يكتفي بتفسير الصور والأساليب إنما يربطها بالمرجعيات الفكرية والاجتماعية التي أسهمت في تشكيلها (الجابري، ٢٠١٢، ص ٢٤).

رابعاً : السِّياق المعرفي

يتأسّس هذا السِّياق على الكشف عن أنماط المعرفة التي ينتجها الخطاب البلاغيّ، وكيفية تشكّل القناعة أو التّصديق لدى المتلقّي. فالبلاغة في هذا الإطار، أداة تسهم في بناء الفهم، لا مجرد وسيلة للتزيين اللفظي، ويتّضح هذا السِّياق في النصوص الحجاجية والفلسفية والدينية (عبد الرحمن، ٢٠١٤، ص ٦٣).

خامساً : السِّياق التّأويلي (القرائي)

يهتمّ هذا السِّياق بدور القارئ في إنتاج الدلالة، إذ يعاد بناء المعنى البلاغيّ وفق أفق التّفكي وتعدّد القراءات. ويُسهّم التّحليل البلاغيّ التّأويلي في تجاوز الفهم الأحادي للنص، مع الحفاظ على ضوابط اللّغة والسِّياق، بما يحقّق توازناً بين قصد المؤلّف وفعل القراءة (UmberToEco, 1979, P.28).

المبحث الثاني الذكاء الاصطناعيّ

يعدّ الذكاء الاصطناعيّ من أهمّ التّقنيّات الحديثة التي تُسهّم بشكل ملحوظ في التّطوّر التّقنيّ السّريع، وزيادة، فرص الابتكار والنّمو في المجالات المختلفة، وعلى الرّغم من ظهور مصطلح الذكاء الاصطناعيّ منذ عام ١٩٥٥م وانتشار تقنيّاته، إلّا أنّه لا يوجد له تعريف موحد متفق عليه، فهو عبارة عن " أنظمة تستخدم تقنيّات قادرة على تتبؤات أو توليد محتوى، أو تقديم توصيّاات، أو اتّخاذ قرارات بمستويات متفاوتة من التّحكّم الذاتي. (الهيئة السعودية للبيانات والذكاء الاصطناعيّ، ٢٠٢٤، ص ٨) وكان لعالم الرياضيات البريطانيّ ألان تورينج (Turing) السّبق في اقتراح مفهوم الآلة العالمية Universal machine التي كانت تهدف إلى أداء العمليات الحسابية من آلات أخرى وهو ما أسس المفهوم الحوسبة المعاصرة. (Turing, 1947, PP.230-265)، ثم قدّم جون مكارثي لأول مرة مصطلح (الذكاء الاصطناعيّ) في مؤتمر دارتموث عام ١٩٥٦، ممّا يّعده الباحثون بداية الذكاء الاصطناعيّ، الذي شهد مرحلة ازدهار وحمامسة لاعتماده في حلّ المشكلات وأداء العمليّات، إلّا أنّه شهد تراجعاً كبيراً في التّمويل والاهتمام ما بين عامي (١٩٧٤ - ١٩٨٠) حتى أُطلق على هذه المرحلة (الشتاء الأوّل للذكاء الاصطناعيّ) " Al winter " نتيجة المبالغة في التّوقّعات وضعف قدرة التقنيّات في وقتها - على تلبيةّها. ففي عام ١٩٧٣ أعدّ البروفيسور جيمس لا يثيل " بتكليف من المجلس البريطانيّ لأبحاث العلوم، مستنداً انتقد فيه المبالغة في التّوقّعات، ممّا أدّى إلى قطع التّمويل عن معظم أبحاث الذكاء الاصطناعيّ في المملكة المتّحدة. ثم عادت أبحاثه للانتعاش وشهدت تطبيقاته نهضة تقنيّة بسبب " الأنظمة الخبيرة " التي اعتمدها الشّركات الكبرى وطوّرتها لتصل إلى إمكانيّة محاكاة القدرات البشريّة ذات الخبرات على اتّخاذ القرارات (Buchanan and Short life (1984). إلّا أنّ هذه الشّركات اكتشفت لاحقاً إنّ هذه الأنظمة مكلفة جداً وصعبة التّحديث ممّا أدّى إلى دخول فترة ركود ثانية ما بين عامي (١٩٨٧ - ١٩٩٣) أُطلق عليها (الشتاء الثاني بعد خيبة الأمل في " الأنظمة الخبيرة " توقّفت الوعود الخياليّة، وركّز العلماء على حلّ مشكلات محدّدة باعتماد المقاربات المبنية على الرياضيات والنّمادج الإحصائية بدلاً من محاولة محاكاة المنطق البشريّ المعقّد. وحدثت نقلة نوعيّة في خوارزميات التّعلّم الآليّ باتّجاه التّعلّم العميق المستلهم من التّركيب العصبيّ لدماغ الإنسان، فتطوّرت تطبيقات التّعلّم العميق لتتعرّف الكلام والصّور وصولاً إلى تطبيق فكرة دمج الذكاء الاصطناعيّ في الحياة اليوميّة من طريق تطبيقات للمساعدة الشّخصيّة مثل؛ تطبيق سيربي من شركة آبل، وأليسكا من أمزون - وصولاً إلى تطوير روبوتات

الذكاء الاصطناعي وتقنية الشبكات جي بي تي (Chat G.P.T.) من شركة أون آيه أي (Open Ai) عام ٢٠٢٢ (قطب، ٢٠٢٣، ص ٥)، واستناداً إلى هذه المعطيات فإنّ للذكاء الاصطناعي في المجال اللغوي نوعان، هما:

١- الذكاء الاصطناعي الضيق أو الضعيف (Narrow Ai) الذي يؤدي مهمة محدّدة بكفاءة وتوقّ، دون فهم حقيقيّ لهذه المهمة، وهو موجود حالياً، ومن أمثله: تعرّف الوجوه، ترجمة النصوص، اقتراح فيديوهات يوتيوب.

٢- الذكاء الاصطناعي العام أو القوي (A.G.i.) (General/Strong Ai)، الذي يمتلك ذكاءً موازياً لذكاء الإنسان في المجالات كافة، ويمكنه تعلّم أيّة مهمة فكرية يمكن للإنسان إنجازها، فهو يهدف إلى محاكاة القدرة العقلية البشرية بشكل كامل، وهو مستوى مستقبلي.

العلاقة بين البلاغة والذكاء الاصطناعي :

تمثّل العلاقة بين البلاغة والذكاء الاصطناعي نقطة تقاطع فريدة من نوعها هذا التقاطع يكون بين أعمق تقاليد التعبير البشري وبين أحدث منجزات العصر الرقمي، حيث يجتمع علم اللغة التاريخي مع آليات الحوسبة المتطورة في حوارٍ معرفيٍ مثير، فكما تهتمّ البلاغة بفنّ الإقناع والتأثير، وجماليات التعبير، يسعى الذكاء الاصطناعي إلى محاكاة هذه القدرات في الآلات مما يفتح آفاقاً جديدة لفهم اللغة وآليات التواصل، وتكمن المفارقة في أنّ البلاغة " مطابقة الكلام لمقتضى الحال " ، وهذا (الحال) يتطلّب إدراكاً بشرياً عميقاً للسياق، والمشاعر، والثقافة. إذن، كيف يلتقي هذا العلم العربي الأصيل مع التقنيّة الحديثة؟ هنا تنبري لمحاولة أداء هذه المهمات أنواع متعدّدة من الذكاء الاصطناعي، منها :

- الذكاء الاصطناعي القائم على معالجة اللغة الطبيعية :

(N. L. P.) (Natural Language Processing) يعتمد هذا النوع على تحليل البنية اللغوية من حيث الصّرف، والتّركيب، والدلالة. وتكمن أهميته في البلاغة العربية في قدرته على تفكيك الجملة، وتحديد العلاقات النحوية، وتتبع أنماط التراكيب التي تعدّ مدخلاً لفهم الأساليب البلاغية، لاسيما علم المعاني فضلاً عن تحديد المعنى، والسّياق والمقصد بما يسمح بالتفاعل الشّبيه بالبشر وأتمتة مجموعة متنوّعة من المهام التي كان التّعامل معها غاية لا تدرک. (Vasilakes, Zhou and Zhang, 2020)

٢- الذكاء الاصطناعي القائم على النماذج الإحصائية والاحتمالية: يعتمد هذا النوع على تحليل التكرارات، والأنماط الأسلوبية، وتوزيع المفردات داخل النص، وهو ما يتيح الكشف من السمات الأسلوبية التي قد تسهم في دراسة بعض مظاهر البديع، كالتّوازي، والمقابلة. وتبرز فائدته في معالجة المدوّنات النصّية الكبرى، إذ يمكن رصد السمات الأسلوبية العامة للنصوص الأدبية، إلا أنّه يظلّ قاصراً عن إدراك القيمة البلاغية التي تنشأ من السّياق والمقام (الحاج صالح، ٢٠١٠، ص ٢٢).

٣- الذكاء الاصطناعي القائم على التعلّم الآلي (Machine Learning): هو أحد فروع الذكاء الاصطناعي الذي يتضمّن البرمجيات القادرة على التّعرف على الأنماط وإجراء التنبؤات، وتطبيق الأنماط المستجدة على مواقف لم تكن مشمولة أو مغطاة بتصميمها الأولي. (Popenici and Kerr, 2017) يقوم هذا النوع على تطوير الخوارزميات وتدريب الأنظمة الذكية على أمثلة نصّية سابقة، بما يمكنها من تعرّف أنماط بلاغية محدّدة، كالتشبيه، أو الاستعارة من طريق السمات اللغوية المصاحبة لها، وتكمن أهميته في البلاغة العربية في إمكان استخدامه للكشف الآلي عن الصور البلاغية، إلا أنّ نجاحه يظلّ مرهوناً بجودة البيانات المدخلة، فضلاً عن محدودية قدرته على فهم البعد التّأويلي للصورة البلاغية. (مشبال، ٢٠١١، ص ٣٤)

٤- الذكاء الاصطناعي القائم على النماذج المعرفية: (Knowledge Ai Based) يرتكز هذا النوع على قواعد معرفية مسبقة، تُستمد من التّراث البلاغيّ العربي، مثل تصنيفات البيان، والبديع، وتوظيفها في تحليل النصوص الأدبية. وتبرز قيمته في محاولته محاكاة التّفكير البلاغيّ التّراثي، إلا أنّه يظلّ مقيداً بالتصنيفات الجاهزة، وغير قادر على استيعاب الانزياحات الإبداعية التي تميّز النصّ الأدبي. (الحاج صالح، ٢٠١٠، ص ٤٥-٤٦)

٥- الذكاء الاصطناعي التوليدي (Generative Ai): يمثّل هذا النوع مرحلة متقدّمة في معالجة اللغة، إذ يستطيع إنتاج نصوص تحاكي الأسلوب البلاغيّ العربيّ، وتوظيف بعض الصّور البيانية والمحسنات البديعية. إلا أنّ هذا التّوليد لا يقوم على وعي بلاغيّ حقيقيّ، بل على محاكاة أنماط لغوية مستخلصة من بيانات سابقة، وهو ما يجعله قادراً على تقليد البلاغة دون إدراك مقاصدها الجمالية والفكرية (فضل، ٢٠٠٣، ص ١١٩).

التّحديات التي تواجه الذكاء الاصطناعي في تحليل النصّ الأدبي :

يعتمد تحليل النص في الذكاء الاصطناعي نماذج رياضية وإحصائية تهدف إلى كشف الأنماط اللغوية والعلاقات البنيوية داخل النص وقد بين عبد السلام المسدي أن هذا النوع من التحليل ينتمي إلى مقاربة لسانية حديثة ترى اللغة نظاماً قابلاً للتمثيل الصوري والمعالجة الآلية (المسدي، ١٩٩٦، ص ٨٩) إلا أن النص الأدبي يطرح تحديات كبيرة أمام الذكاء الاصطناعي بسبب طابعه الانزياحي الرمزي، إذ إن " الخطاب الأدبي لا يُختزل في بنيته اللغوية الظاهرة، بل يتجاوزها إلى أبعاد بلاغية وتأويلية لا يمكن استيعابها دون وعي ثقافي وجمالي (مشبال، ٢٠١١، ص ١١٥). فالعمق التأويلي للنص الأدبي يشكل تحدياً قائماً للذكاء الاصطناعي في قدرته على سبر أغوار مضامينه، وهذا ما أشار إليه علي حرب بقوله: " إن ثورة الذكاء الاصطناعي في مجال الدراسات الأدبية تطرح أسئلة جوهرية حول إمكانية الجمع بين الدقة الرياضية والعمق التأويلي فالذكاء الاصطناعي يقدم أدوات تحليلية قادرة على معالجة كميات هائلة من النصوص الأدبية في وقت قياسي، كالتطبيقات التي تُعتمد اليوم في تحليل الأوزان العروضية، وتتبع التطور الأسلوبي، وتصنيف النصوص حسب المدارس الأدبية، واستخدام التقنيات الرقمية المعاصرة في تحليل الشعر الجاهلي، وقد أسهم هذا التحول في توسيع آفاق الدراسات البلاغية والنقدية، عبر إتاحة أدوات قادرة على رصد التكرارات، وتحليل التراكم، وتتبع العلاقات الإحصائية بين المفردات داخل النصوص الطويلة. (المسدي، ١٩٩٦، ص ٨٩). ورغم هذا التحول لازال الصراع بين النمذجة الرياضية والسيولة الأدبية قائماً، فالتحدي الجوهري لنماذج الذكاء الاصطناعي يبرز جلياً حين محاولة تفسير المفردات بناءً على السياق، ومن جملة هذه التحديات:

أولاً: التحديات البنيوية في اللغة العربية

أ - تمتاز اللغة العربية بظواهر متعددة، كاللغات، والإيجاز بالحذف، والتقديم والتأخير، وهي تتطلب فهماً عميقاً للإعراب وعلاقته بالمعنى.
ب- التشكيل: غياب التشكيل يؤدي إلى اللبس الدلالي مما يجعل أي نموذج للذكاء الاصطناعي يخطئ في تحديد الوظيفة البلاغية للكلمة. (Habash, 2010, p; 156)

ج- الاشتقاق والجذرية: إن اللغة العربية لغة اشتقاقية بجذور ثلاثية ورباعية، مما يعمل على تشعب معاني كلماتها مع استحداث معانٍ جديدة من الجذر نفسه، (ابن جني، ص ١٣٣)

ثانياً: تحديات بلاغية

أ - تحديد إدراك مقتضى الحال:

إن رصد الظروف المحيطة بالنص قد يشكل تحدياً كبيراً أمام نماذج الذكاء الاصطناعي، فهذه النماذج تحلل النص بوصفه بيانات مغلقة، بينما البلاغة تعتمد الوعي بالموقف، إذ تشكل مسألة تعرف سياق النص وظروفه أساساً في تحليله البلاغي، وغياب هذه المعلومات يجعل من الذكاء الاصطناعي عاجزاً عن التمييز بين المواقف.

ب- تحدي " الاستعارة البكر ":

يعتمد الذكاء الاصطناعي على الاحتمالية الإحصائية، فهو غالباً ما ينجح في تحليل الاستعارات التي تتكرر كثيراً في البيانات، لكنه يعجز عن استيعاب الصور البيانية المبتكرة التي يخلقها الأديب، إذ تؤكد الدراسات أن الذكاء الاصطناعي يعاني مما يُسمى " التحيز للنمط " مما يجعله عاجزاً عن تذوق الإنزياح الأسلوبي.

ج- غياب القصدية:

إن البلاغة فن إقناعي، والإقناع يتطلب إرادة، ويولد الذكاء الاصطناعي نصوصاً بلا ذاتية، فعند تحليل نص فإنه لا يدرك القصد من استعمال الكاتب للكلمة، هل هو التعظيم أم التحقير، إلا من خلال مقارنات سطحية بالكلمات المجاورة. إذ يؤكد الفلاسفة والتقنيون أن الآلة تفتقر إلى الغرضية، وهو ما يجعل تحليلها للبلاغة تحليلاً شكلياً لا جوهرياً.

(john, 1980, p; 77)

المبحث الثالث المقارنة المنهجية والتطبيقية بين التحليل البلاغي التراثي والتحليل البلاغي التقني (Chat GPT أنموذجاً)

يتأسس التحليل البلاغي في التراث العربي على رؤية معرفية ترى البلاغة علماً لفهم كيفية توليد المعنى وتأثيره في المتلقي. وقد ارتبط هذا التحليل بنظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ)، التي تجعل العلاقة بين اللفظ والمعنى علاقة تركيبية سياقية، وتطور عند السكاكي (ت ٦٢٦ هـ) إلى نظام تصنيفي يضبط علوم المعاني والبيان والبديع، ويجعل السياق المقامي عنصراً حاكماً في الكشف عن الدلالة، فيمتاز هذا التحليل بالعمق التأويلي والاحتكام إلى الذوق اللغوي، وربط البلاغة بالقيم الحضارية والدينية، ولاسيما في تحليل النص القرآني والخطاب الأدبي

بينما يقوم التحليل البلاغي في النماذج الذكية الحديثة على معالجة لغوية آلية تعتمد التعلّم العميق، إذ تُحلّل الأنماط الأسلوبية والتركيبيّة والدلالات عبر كميات ضخمة من النصوص، ويتيح (Chat GPT) تقديم قراءات بلاغية سريعة، تشتمل على تحديد الصور البيانية، والعلاقات الدلالية، ومستويات الخطاب، مع قابلية المقارنة بين نصوص متعددة. إنّ هذا النمط من التحليل يظلّ قائماً على الاحتمال الإحصائي والتنبؤ السياقي، لا على الذوق البلاغي أو الوعي الحضاري، مما يجعله قوياً في الرصد والوصف، أكثر منه في التأويل القيمي والمرجعي. إنّ الاختلافات ما بين التحليل البلاغي التراثي والتحليل البلاغي التقني تتمحور وفق مستويين أساسيين، هما:

أولاً : الاختلاف في المنطلقات المعرفية

يقوم التحليل البلاغي في التراث العربي على تصور معرفي يجعل البلاغية علماً كاشفاً عن كيفية تشكل المعنى داخل البنية التركيبية للنص، فالبلاغة فعل عقلي سابق التلفظ، مرتبط بالقصد والسياق والمقام. فالتحليل البلاغي التراثي تحليل تأويلي يسعى إلى تفسير لماذا اختير هذا التركيب دون غيره، وما الأثر الذي يحدثه في المتلقي. (الجرجاني، ١٩٩٢، ص ٩٠) في المقابل ينطلق التحليل البلاغي في النماذج التقنية الحديثة من أسس معرفية مختلفة، إذ يعتمد التعلّم الآلي وتحليل الأنماط الإحصائية المستخرجة من كمّ هائل من النصوص، فالنموذج هنا لا يمتلك قصدية معرفية، ولا وعياً بالسياق الحضاري وإنما يتعامل مع اللغة بوصفها بيانات قابلة للتنبؤ والتوليد.

(Jurafsky and Martin, 2023, P.32)

تأسيساً على تلك المعطيات فإنّ التحليل التقني يركّز على توصيف البنية اللغوية أكثر من تفسير بعدها القيمي أو التداولي.

ثانياً : المقارنة في الأدوات والإجراءات التحليلية

يعتمد التحليل البلاغي في التراث في إجراءاته التحليلية على أدوات مركبة تشتمل على السياق المقامي، وغرض الخطاب، وأحوال المتكلم والمتلقي، وكذلك الذوق البلاغي المدعوم بالاستقراء. أما التحليل البلاغي التقني فيعتمد إجراءات آلية تشتمل على الأنماط الأسلوبية، وتحليل التراكيب والكشف عن العلاقات الدلالية بين المفردات. وتتماز بسرعة عالية في التحليل، وقدرة على المقارنة بين نصوص متعدّدة، لكن في إطار احتمالي لا يستحضر المقام الثقافي أو المرجعية القيميّة للنص.

تطبيقات عملية في تحليل نماذج من نصوص قرآنية وأدبية تحليلياً بلاغياً مرة وفق التراث ومرة أخرى وفق تقنية (Chat GPT) :

- قوله تعالى : ((وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ)) (الإسراء: ٢٤)

أولاً : تحليل الآية بلاغياً وفق التراث

ينطلق التحليل البلاغي وفق التراث العربي الإسلامي من تصنيف الظاهرة الأسلوبية وتحديد نوعها. يُلاحظ في الآية الكريمة تشبيه الإنسان بالطائر في لين جانبه وخضوعه من خلال الاستعارة التصريحية، إذ صُرِحَ بالمشبه به (الجناح)، وحذف المشبه (الجانب أو السلوك). وتعدّ هذه الاستعارة من الاستعارات التمثيلية لأنّ الصورة فيها لم تقم على لفظ واحد بل على هيئة كاملة جسّدت معنى التواضع والخضوع. ويظهر التناسب الدلالي بين مفردات الصورة؛ فالجناح لا يُخفض إلا في حال السكينة، وإضافته إلى الدلّ تعمق المعنى، إذ لا يدلّ الدلّ هنا على المهانة بل على التواضع المقترن بالمحبة. ويضفي قيد (من الرحمة) جواً من العاطفة والحنو فيتحوّل الدلّ والتدلّل إلى الوالدين قيمة أخلاقية سامية. أما الإيجاز التصويري الذي يُعدّ من خصائص البلاغة العالية فقد تمثّل في جمع سلوك نفسي وأخلاقي معقّد في صورة حسية ، وهو ما أضفى كثافة دلالية وجمالية يستشعرها المتلقي.

ثانياً : تحليل النصّ بلاغياً وفق الذكاء الاصطناعي

ينطلق التحليل البلاغي وفق الذكاء الاصطناعي من وظيفة الصورة في بناء المعنى لا من تصنيفها. فالنصّ ينتج صورة حركية محسوسة (خفض الجناح) لتمثيل سلوك إنساني مجرد، وبذلك يحوّل قيمة أخلاقية داخلية إلى فعل مرئي قابل للتخيل، هذه العملية تسهم في تسهيل وصول المعنى في الذهن وترسيخه؛ لأنّ العقل يعالج الصور الحسية أسرع من المفاهيم المجردة.

إذ تعمل المفردات ضمن شبكة مفهومية متكاملة :

- خفض: يوحي بالفعل الإرادي لا القسري.

- الجناح: يستدعي الحماية لا الضعف.

- الدلّ: يُعاد تأطيره دلاليّاً بوصفه اختياراً أخلاقياً.

- الرحمة: تضبط تفسير الصورة وتمنع انزلاقها إلى معنى الإهانة.

بهذا لا تُفهم الصورة بوصفها تشبيهاً أو استعارة فحسب بل بوصفها نموذجاً سلوكياً يعيد تشكيل تصوّر المتلقّي للعلاقة بين القوة والتواضع. فالبلاغة هنا لا تزَيّن المعنى، بل تعيد برمجته معرفياً.

الخلاصة:

يركز التحليل البلاغي وفق التراث على تحديد نوع الصورة البيانية، وشرح عناصرها، وبيان جمالها وأثرها في توضيح المعنى. مما يعني أن غاية التحليل بيان الجمال البلاغي. بينما ركّز التحليل وفق الذكاء الاصطناعي على أثر الصورة في الإدراك، وكيفية تحويل القيم المجردة إلى أنماط ذهنية وسلوكية واضحة عبر نموذج ذهني في برّ الوالدين يمثّل وظيفة الصورة الإدراكية. وتفسير أثر المعنى في الوعي، فالبلاغة التراثية تعلمنا كيفية صياغة المعنى، أما البلاغة في ضوء الذكاء الاصطناعي فتعلمنا كيف يعمل المعنى. مثال آخر: من خطبة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في حجة الوداع: (أيها الناس، إنّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا... وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به لن تضلوا بعدي: كتاب الله وسنتي). تحليل النص بلاغياً وفق التراث: يبتدئ الخطاب بعبارة (أيها الناس) لغرض التنبيه وإثارة الاهتمام والعموم. (إنّ دماءكم عليكم حرام) جملة خبرية تدلّ على التقرير والتشريع. (كحرمة يومكم هذا) تشبيه تمثيلي يشبه حرمة الأرواح، والأموال، والأعراض بحرمة يوم عرفة الذي تعدّ حرمة حكماً تشريعياً واعتبارياً واجباً، لإشعار الناس بأهمية حقوق الإنسان الواردة. (يومكم هذا في شهركم هذا في عامكم هذا) التكرار هنا لتأكيد الحجة وتقوية الأثر. (وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به) إخبار يفيد التقرير والتشريع، مع توكيده ب (إن) الشرطية التي توحى بارتباط الهداية بالالتزام بشرطها. (الاعتصام) استعارة فالتمسك بالكتاب والسنة كالاكتصام بالحبل الذي يمنع من السقوط. لقد جمع النص التوكيد، والتشبيه، والاستعارة، والتكرار لإلقاء الحجة على الناس بأنّ الكتاب والسنة سبيل الهداية والنجاة. التحليل البلاغي للنص وفق الذكاء الاصطناعي: يقوم الخطاب على بلاغة تأسيسية معيارية تهدف إلى بناء وعي جماعي دائم، لا إلى الإقناع الآني. يبدأ النداء ب (أيها الناس) ليكسر حدود الزمان والمكان، فيحوّل المخاطب من جماعة حاضرة إلى إنسان مطلق، وبذلك يوسع أفق التلقّي. (إنّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام) العبارة هنا تؤسّس قداسة ثلاثية للإنسان ويدعم هذا التأسيس بتشبيه الحرمة بحرمة الزمان والمكان المقدّسين، فينتقل الحكم من مستوى القانون إلى مستوى الوجدان. (وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به لن تضلوا بعدي) ينتقل هنا إلى الاستمرار المعرفي بعد الغياب، فالبلاغة هنا لا تعالج اللحظة، بل تؤمّن المستقبل. وفعل الاعتصام يبيّن صورة ذهنية للهداية بوصفها فعلاً واعياً مستمراً لا مجرد انتماء شكلي. يتأتى الفرق بين التحليلين من محاور عدّة، منها مثلاً: زاوية النظر للنص: ينظر التحليل التراثي إلى الخطبة من داخل علوم البلاغة نفسها، فيحللها بوصفها نصّاً لغوياً، ويحدّد أدواته: نداء، وتوكيد، وتشبيه، واستعارة، وقصر، وتكرار. بينما ينظر التحليل الذكي إلى الخطبة بوصفها فعلاً خطابياً يبيّن وعياً جماعياً. التشبيه: تراثياً يُذكر لتقريب المعنى وتأكيد، وبينما في تحليل الذكاء الاصطناعي، يحوّل التحريم إلى قيمة شعورية. المتلقّي: في التراثي هو متلقٍ لجمال الأسلوب ودقّة الصياغة. بينما هو متلقٍ فاعل داخل الخطاب، مطالب بالتمسك بالكتاب والسنة مع الاستمرارية. مثال آخر: ومن كلام للإمام عليّ (عليه السلام)، قوله ((تَزُولُ الْجِبَالُ وَلَا تَزُلُّ غَضُّ عَنِّي نَاجِدُكَ أَعْرِ اللَّهُ جُمُومَتَكَ تَدُ فِي الْأَرْضِ قَدَمَكَ إِرْمِ بِبَصْرِكَ أَقْصَى الْقَوْمِ وَغَضُّ بَصْرِكَ وَإِعْلَمَ أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ)) (ابن أبي الحديد، ، كلام ١١، ج ١، ص ٢١٠)

أولاً: التحليل البلاغي التراثي:

تقوم أسلوبية الخطاب على سلسلة من اللوحات الفنية المتناحزة التي يظهر فيها عدول الإمام عليّ (عليه السلام) عن الكناية باللفظ المفرد إلى الكتابة بالعبارة التي تشكّل في مجملها تصوّراً دلاليّاً يشدّ ذهن المتلقّي ويعمله ليلحق بالبعد الإيجابي للصورة الواحدة، ثم لا ينفك يراودها من مكوناتها حتى يبلغ مواضع الإسناد العلانقي التي يرتكز عليها خطابه (عليه السلام)، لاسيما وأنّ هذا الخطاب يُعدّ جملة من الكنايات التي أدّت بعمق يُلْفُه الوضوح، وتسبّقه دقّة الوصف، إذ يوصي بها الإمام (عليه السلام) ولده محمداً بن الحنفية (عليه السلام) عندما أعطاه الراية يوم الجمل أن يكون قويّ الإيمان بالله، واثقاً بنصره، صلباً لا يضعف ولا يلين، وأن يتوكّل على الله ويعتمد عليه. وقد عبّر الإمام (عليه السلام) عن هذه المعاني بصور كنايةية متتابعة كان أولها (تزول الجبال ولا تزل)، فعبارة (لا تزل) كناية عن وجوب بقائه ثابتاً وصامداً مهما حدث، فهي كناية عن صفة الثبات، إذ أدّت الصورة التخيلية الدلالة المطلوبة بدقّة، فالإمام (عليه السلام) ، يلتقط كناياته من البنى المعرفية للمتلقّي ويوظّفها لتقريب الدلالة التي تعني (حتى وإن زالت الجبال الثابتة فابق صامداً، ولا تنهزم). وتكمل العبارة (غَضُّ عَنِّي نَاجِدُكَ) الصورة الكنائية التي تدلّ على المحافظة على رباطة الجأش وأن يعض الإنسان على أضراره فذلك أدعى لأن ينبو السيف عن دماغه، لأنّ عظام الرأس تشتدّ وتتصلّب فلا يهلكها السيف، فضلا عما تحمله من دلالة الإصرار وقوة العزم والثبات فهي كناية عن صفة الثبات. وفي عبارة (أَعْرِ اللَّهُ جُمُومَتَكَ) ففيها وجهان الكناية عن صفة الثبات؛ الأول يعني أن يبذلها في طاعة الله وينال الشهادة، والثاني أن يحصّن نفسه بالله، فإذا فعل فإنّه لا يقتل في تلك الحرب،

لأنّ الإعارة مردودة، فلم يقل (عليه السلام) بع، أو امنح الله جمجمتك، وإن كان فهو إشعار بالشهادة. أما الكناية في (تد في الأرض قدمك) أي ثبتها، وهي كناية عن صفة الثبات أيضاً، لتؤكد ما سبق من دلالات وتكثفها، ثم تعضدها الصورة الاستعارية (إرم ببصرك أقصى القوم) ليستخرج من ناتجها ما يؤدي إلى ما يجب أن يكون عليه الفارس الشجاع من شدة ركوبه المعركة فلا يبصر ما بين يديه، لعدم انشغاله بالعاقبة وحمله عليهم جملة. ومما يزيد النص كثافة دلالية؛ التعاقب اللغوي بألفاظ متقاربة شكلاً متغايرة، دلالة، إذ تجسد العبارة (غض بصرك) كناية عن صفة، بتجنب وقوع الزهبة في نفسه إن أبصر بريق السيوف ولمعانها إذ لفّ البعد الدلالي الذي مفصل الخطاب العلوي.

ثانياً: التحليل البلاغي للنص وفق الذكاء الاصطناعي:

١- الشرط البلاغي غير الصريح: قوله (تزلو الجبال ولا تزل)، الشرط هنا ليس نحوياً بل بلاغياً قيمياً، قدّم فيه المثال الأقصى في الثبات (الجبال)، لينفي عنه الدوام، ويثبت للإنسان المؤمن. وهو مبالغة معنوية تهدف إلى ترسيخ الثبات النفسي.

٢- التتابع الإنشائي: تتوالى الأوامر (عض، أعر، تد، ارم، غض) فتتقل المخاطب من الاستعداد الداخلي إلى الفعل الخارجي بفعل الإيقاع التصاعدي للأوامر.

٣- الصور البلاغية:

أ- الصورة الحسية: (عض على ناجذك)، كناية عن الصبر والتحمل. (تد في الأرض قدمك)، استعارة للثبات وعدم التراجع. (أعر الله جمجمتك) كناية عالية الكثافة عن التقيؤ الكامل وبذل النفس، هذه الصور الحسية تجعل المعنى: ملموساً، وقابلاً للتمثل العملي.

ب- الصورة الإدراكية: (إرم ببصرك أقصى القوم)، توجيه استراتيجي للرؤية والوعي.

(غض بصرك)، ضبط للانفعال ومنع للتشتت، وهنا نلاحظ بلاغة التوازن بين الإقدام والانضباط.

٤- الاقتصاد اللفظي والكثافة الدلالية: الجمل قصيرة، الأفعال قوية، والمفردات منتقاة بدقة دون حشو، بل كلّ لفظ يؤدي وظيفة نفسية، وحركية، وانفعالية، وهذا من سمات البلاغة عند الإمام علي (عليه السلام).

٥- الخاتمة العقدية: قوله (واعلم أنّ النصر من عند الله سبحانه)، جاءت بصيغة خبرية تقريرية، لتكون مرتكزاً معرفياً وميزاناً بين الأخذ بالأسباب والتوكل.

الفرق بين التحليلين:

يبين التحليل البلاغي التراثي المعاني المجازية وعمق ملاءمة استعارة دون غيرها، وتصنيف أفعال الأمر التي وردت للحث والتشجيع بتناغم موسيقي يؤثر في النفس، فيقف عند جمال الصياغة وقوتها، أما تحليل الذكاء الاصطناعي فقد رأى أنّ تتابع الأوامر برنامجاً عملياً يضبط الجسد والبصر والإرادة، فهو يقف عند الجانب المعرفي للنص، فينظر إليه بوصفه نظام بيانات قابلاً للاستخراج والتحليل النمطي فيكشف عن البنية النمطية للأوامر المتتابعة، وقياس كثافة الخطاب الحركي مقابل الخبري، وفهم النص بوصفه نظام تأثير نفسي منظم. فطبيعة القراءة وفق التحليل التراثي كانت جمالية معيارية، اعتمدت الصورة البلاغية التي يلفها الذوق والتحليل البياني، وهذا ما جعلها قراء تفسيرية قيمية. في الوقت الذي كانت فيه نمطية بنوية وفق تحليل الذكاء الاصطناعي الذي كان تحليلاً شبيكياً اعتمد الخوارزمية والنمذجة، وهو ما جعلها تحليلية وصفية قابلة للقياس.

الخاتمة

توصل البحث إلى أن الفارق الجوهرى بين التحليل البلاغى التراثى والتحليل البلاغى المعتمد على الذكاء الاصطناعى لا يتمثل في اختلاف الأحكام على النص، بل في اختلاف المنظور التحليلي وأدوات الفهم. فالتحليل التراثي ينظر إلى البلاغة بوصفها خاصية نصية ناتجة عن إحكام النظم ومطابقة الكلام لمقتضى الحال، في حين ينظر التحليل الذكي إلى البلاغة بوصفها فاعلية خطابية تتجلى في قدرة النص على تنظيم المعنى والتأثير في المتلقي ضمن سياق تواصل محدد. وفي ضوء ذلك، يؤكد البحث أنّ الجمع بين التحليل البلاغى التراثى والتحليل القائم على الذكاء الاصطناعى يتيح مقارنة تكاملية قادرة على تجديد البلاغة العربية بعمقها التأويلي، وإخراجها من إطارها الوصفي التقليدي إلى أفق تحليلى أوسع يتفاعل مع منجزات العصر. ويُعد هذا التوجه إسهاماً معرفياً أصيلاً في الدراسات البلاغية المعاصرة، لما يقدمه من إمكانيات لإعادة قراءة النصوص الكبرى قراءة تجمع بين عمق التراث وفاعلية التقنية الحديثة.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق: حسن تميم القاضي، الناشر: دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان، د.ت، ١٩٦٤م.
- ابن جني، عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- أبو زيد، نصر حامد، مفهوم الذهن، دراسة في علوم القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة - مصر، ١٩٩٠م.
- أبو يعقوب، السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٩٨٧م.
- الجابري، محمد عابد، الخطاب العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، ط ٩، ٢٠١٢م.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، ١٩٦٨م.
- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة - مصر، ط ٣، ١٩٩٢م.
- الحاج صالح، عبد الرحمن، اللسانيات العربية والذكاء الاصطناعي، مجلة اللسانيات، معهد العلوم اللسانية والصوتية، جامعة الجزائر، ٢٠٠٥م.
- حرب، علي، المصائر المتقاطعة: من نقد الميتافيزيقا إلى فلسفة الوجود، الدار العربية للعلوم، بيروت - لبنان، ٢٠١١م.
- حمادي، صمود، التفكير البلاغي عند العرب، دار قرطاج للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٨١م.
- الرباعي، عبد القادر، الصورة الفنية في النقد الشعري، ١٩٩٢م.
- عباس، إحسان، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة، بيروت - لبنان، ط ٤، ١٩٨٣م.
- عباس، فضل حسن، البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، دار النفائس، الأردن، ٢٠٠٩م.
- عبد الرحمن، طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، (بيروت - الدار البيضاء)، ط ٥، ٢٠١٤م.
- عبد المطلب، محمد: البلاغة العربية قراءة أخرى، الشركة المصرية العالمية للنشر - لوجمان، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- عتيق، عبد العزيز، في البلاغة العربية، علم (المعاني، البيان، البديع)، مكتبة النهضة العربية، بيروت - لبنان، ١٩٧٢م.
- العمري، محمد، البلاغة العربية: أصولها وامتدادها، دار طباعة أفريقيا الشرق، الدار البيضاء - المغرب، ١٩٩٩م، ط ١.
- فضل، صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص، ضمن سلسلة "عالم المعرفة"، العدد (١٦٤)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٢م.
- قدامة، قدامة جعفر: نقد الشعر، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٩٧٨م.
- قطب، جولين أديب. أدوات الذكاء الاصطناعي ومجالات تطبيقها في كتابة البحث العلمي، مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع، عدد (٩٨)، ديسمبر ٢٠٢٣م.
- مذكور، إبراهيم بيومي، في الفلسفة الإسلامية: منهج وتطبيقه، دار المعارف، مصر، ١٩٨٣م.
- المسدي، عبد السلام، اللسانيات وأسسها المعرفية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان، ١٩٩٧م.
- مشبال، محمد. تحليل الخطاب البلاغي، دار الأمان، الرباط - المملكة المغربية، ٢٠١١م.
- مندور، محمد، النقد المنهجي عند العرب، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة - مصر، ١٩٩٦م.
- الهيئة السعودية للبيانات والذكاء الاصطناعي، الذكاء الاصطناعي سلسلة الذكاء الاصطناعي للتنفيذيين، ط ٢، ٢٠٢٤م.
- Buchanan, Bruce G. and Edward H. (1984) Short life, Rule – Based Expert systems : the Mycin Experiments of the Stanford. Heuristic programming programming project.
- Habash, Nizar, 2010, Introduction to Arabic Natural language processing, Morgan and clay pool publishers.
- John R. Searle, Minds, Brains, and programs, Behavioral and Brain Sciences, 1980.
- Jurafsky Daniel and James, H. Marjinl Speech and language processing : An Introduction to Natural language processing, computational. Linguistics, and speech Recognition, 3rd Edition, Stanford University.
- Popenici, Stefan and Sharonkerr, 2017, Exploring the impact of artificial intelligence on teaching and learning in higher education, Research and practice in the technology Enhanced learning.
- Turing, A. M. on computable Numbers, with an application to the Entscheidungs problem. Proceedings of the London Mathematical society, 242(1).
- Umberto Eco, (1971), The Role of the reader, Indiana University press, 1979.
- Vasilakes, J. Zhou, Y., and J. Zhan (2020), Natural Language processing. University of Minnesota.
- Veale, Tony, 2016, Creative language, Generation, springer Nature, 2016.